محاضرة التجريب في الرواية المغاربية

يرتبط مفهوم التجريب، جوهريا، بخطاب الحداثة، وترسخ مفهوم التجريب، مع ظهور الاكتشافات العلمية والفلكية والفيزيائية، والبيولوجية التي عرفتها أوروبا،، ويمكن رصد مفهوم التجريب في بنية الثقافة الغربية من خلال

• مكون خطاب فلسفة الأنوار، والدعوة إلى التحرر العقلي من المعتقدات، وتراكماتها التاريخية والغيبية والأسطورية، وتجاوز الماضوية، وإحداث القطيعة الايستمولوجية للمعرفة القديمة.

• مكون ثورة العلوم التجريبية، وخطابها العلمي اتجاه الطبيعة والإنسان والوجود، وإيمانها بقدرة العلم وقوانينه الصارمة في دراسة حقيقتها في واقعها الماضوي

عناصر تشكيل التجريب

ويمكن استخلاص بعض العناصر العامة التي تشكل الرواية التجريبية، وإن كانت هذه العناصر لا يمكن الاعتماد عليها في معرفة هذا الشكل الجديد، لأن الرواية الجديدة (التجريبية) لا تقوم إلا مفهوم خاص، ألا وهو (التجريب في التجريب).

– الشخصيات: لم تعد واضحة المعالم، عوضت بالرموز الأرقام ...

– التبئير: التبئير الخارجي (الرؤية من الخارج) هو أساس العملية السردية.

– الوصف: حضور الوصف وكثافته وتغليبه على باقي القضايا الأخرى السردية وغلب عليه الأنسنة والتشيؤ .

–حضور العجائبية والغرائبية في النص الروائي المغاربي

– تتداخل الرواية مع أجناس وأنواع أدبية مختلفة، الشعر، السنما، الرسم، الموسيقى...

إذا كان التجريب في الرواية الغربية ارتبط بخطاب الحداثة التنويري، ودعوته إلى تعدد المعارف وحواريتها، وهذا ما جعل الرواية الغربية تحتفل بكتابتها في حقل ثقافي قائم على تجريب الوعي وقدرته على التفكير بحرية، بعيدا عن سلطة المرجع الواحد، أو هيمنة المطلق، وفي السياق "رأت الرواية العربية النور في حقل ثقافي تلقيني مسيطر، والسيطرة لا تلغي النقيض، قوامه سلطة النص الديني المؤول ملحميا بلغة باختين، وسلطة البلاغة المؤولة دينيا تعين النص الديني مرجعا شموليا".

فالشروط الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي صاحبت ولادة الرواية العربية كجنس أدبي، مختلفة تماما عن ولادة الرواية الغربية، وذلك يعود– كما ذكرنا سابقا– لاختلاف الحقل الثقافي والمعرفي، مما يجعل التجريب في الكتابة الروائية العربية يحمل التصورات نفسها، التي عرفتها الرواية الغربية،

إن التجريب في الرواية العربية الحديثة تكمن فاعليته الجمالية في مدى قدرة كتابها على طرح الأسئلة الجديدة، وصياغة الأشكال الجديدة.

أشكال التجريب في الرواية المغاربية

إن التجريب في المغرب العربي قد اتخذ منحيين الأول راهن فيه كتاب الرواية على التراث السردي لتحقيق الخصوصية وتأصيل الرواية المغاربية، والبعض راهن على المنجز الروائي العالمي، وعلى النصوص الروائية الحداثية التي يزخر بها، وأيضا على مستوى وعي كتابها باللغة عبر الاشتغال المكثف على اللغة ومستوياتها التعبيرية والدلالية ،وذلك من أجل اختراق السائد السردي والبحث عن أفق حداثي، وقد ساعد فعل المثاقفة على تطوير الرؤية المغاربية للفن الروائي .

لقد شهدت الرواية المغاربية في منتصف السبعينيات بتونس والمغرب وأواخر الثمانينيات بالجزائر لحظة انبهار كبرى أمام اكتشاف الرواية الجديدة الفرنسية مما أدى إلى إعادة النظر إلى مفهوم الكتابة ووظيفتها وإلى غطاء الاهتمام إلى الجانب التقني منها، ونجد في هذا الباب "عز الدين المدني " في تونس والروائي "أحمد المديني" في

المغرب يعمدان إلى تغليب الوظيفة اللغوية في النص الروائي باعتباره حقلا لغويا يظطلع السرد الهذياني فيه بهدم النسق اللغوي العربي الفصيح، وردم الهوة بين النثر والشعر

تعددت أشكال الاستفادة من تقنيات الرواية العالمية الحديثة بشكل يصعب معه حصرها في نماذج لكن يظهر أن أحد أهم مظاهرها هو انبناء العالم الروائي على اللامعقول واللامألوف " وتداخل الواقعي مع الخيالي ضمن هذا الإطار يبدو أن الوقوف عند تجربة الروائي المغربي " الميلود شغموم" عبر رواية "الأناقة و "المباءة" للروائي المغربي محمد عز الدين التازي"، ويمكن اعتبار تذويب الكتابة من بينأبرز مظاهر التجريب الذي تشهده الرواية المغاربية، ولعل رواية " ذاكرة الماء للروائي الجزائري ص واسيني الأعرج وذاكرة الجسد للروائية الجزائرية "أحلام مستغانمي" يمكن أن يمثلا نموذجا لهذا التوجه، وقد وسم التشظي الحكائي البناء الروائي للكثير من النصوص الروائية المغاربية ، كما أن الرواية أصبحت جنسا منفتحا على كافة الفنون وأشكال التعبير.

ا

المراجع المعتمدة:

–بوشوشة بن جمعة:اتجاهات اللغة في المغرب العربي:، ط1، 1999.

– –بوشوشة بن جمعة: التجريب وإرتحالات السرد الروائي المغاربي، المغاربية للنشر، تونس،ط1، 2003

–بوشوشة بن جمعة:سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 2005

-عمري بنوهاشم: التجريب في الرواية المغاربية، الرهان على منجزات الرواية العالمي،منشورات دار الأمان ، الرباط، 2015

-عبد الحميد عقار: الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب.شركة النشر والتوزيع ، المدارس، الدار البيضاء،ط1، 2000.

- بحوث في الرواية الجديدة: ميشال بوتور: تر: فريد أنطونيوس، ط1 منشورات عويدات، 1971.

نظرية الرواية والرواية العربية، د/ فيصل دراج، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999،